

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الثالثة والأربعون

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق عن عدة أمثال. فتأملنا أولاً بالمثل الذي تحدّث عن الكبرياء والتواضع، وبيننا أهمية التحلّي بصفة التواضع. ثم تأملنا بالمثل الذي تحدّث عن خطورة تحطّم نفسية الإنسان. وتحدثنا عن ضرورة الانتباه لكلامنا. وعن وجود محب ألزق من الأخ.

صديقي المستمع، هناك عدة مراحل تمر بها حياة الإنسان. وقبل بدء أية مرحلة عليه أن يتخذ قرارات حاسمة. فعندما ينهي الطالب المرحلة الثانوية مثلاً، عليه أن يقرر الكليّة التي يجب أن ينتسب إليها. وهذا الأمر مهم جداً إذ هو يقرر مستقبل عمله، لا بل مستقبل حياته كلها. وكذلك بالنسبة للشباب بشكل عام، عليه أن يقرر نوع المهنة التي يجب أن يتدرّب عليها، أو العمل الذي يجب أن ينخرط به. ومن المهم أن يقرر المرء أيضاً أين سيسكن، والمدينة التي يجب أن يقطن بها، ويمارس عمله ونشاطاته فيها.

وعندما يريد الشاب أن يقدم على الزواج عليه أن يجد الفتاة المناسبة، شريكة حياته للمستقبل، وهذا أمر مهم للغاية لتقرير مستقبله. ولم يغب هذا الأمر الهام عن كاتب سفر الأمثال، فوجد سليمان الحكيم يكتب قائلاً: "من يجد زوجة جيداً خيراً وينال رضاً من الرب". (أمثال ١٨: ٢٢) فمن المهم جداً أن يجد الشاب الزوجة المناسبة له، والتي ستكون مرافقة له في مسيرة حياته. تشاركه في السراء والضراء، وتعيّله في إبداء الرأي والنصيحة والإرشاد. ويشتركان معاً في تأسيس عائلة جديدة، حيث يربيان معاً الأولاد جيل المستقبل.

لقد سنّ الله شريعة الزواج من البداية لهذه الأهداف جميعاً، وأوصى الإنسان أن يتكاثر ويملأ الأرض. وسعى الله من الزواج أن يحفظ الإنسان من الفساد، إذ تكون لكل امرأة زوجها، ولكل امرأة زوجها. وهكذا يقوم المجتمع على أسس قويمة وسليمة.

أمام هذه الحقائق التي ذكرناها لم يكن غريباً أن يقول المثل: "من يجد زوجة جيداً خيراً وينال رضى من الرب". فأن يجد الإنسان الزوجة المناسبة له والصالحة، فهو يكون قد بدأ البداية الصحيحة ووجد الخير، أي أن البركة سترافق حياته. ولهذا فهو ينال رضى الرب. فهل تراك مستمعي الشاب تأخذ النصيحة والإرشاد من الله، عندما تريد أن تختار زوجة لك؟ أم أنك تنتظر إلى الجمال الخارجي فقط، متجاهلاً المزايا الحسنة والخصال الحميدة للفتاة من الداخل؟ إن الفتاة لا تُقاس فقط بالجمال الخارجي بل بما تملكه من صفات ومزايا.

صحيح أن الجمال الخارجي هو أمر مهم بالنسبة للشباب، لكن يجب أن لا يكون هو العامل الحاسم في اختيار الزوجة المناسبة للمستقبل. فكم من فتاة جميلة دمّرت حياة بيتها الزوجي، لأنها كانت تفتقر إلى الحكمة والفهم، وتفتخر بجمالها. وفي المقابل كم من فتاة معتدلة الجمال كانت خير معيل لزوجها، وقدمت له النصح والإرشاد الصحيح، وربّت أولادها على السير في طريق الرب، طريق التقوى والصلاح، وزرعت في قلوبهم المحبة للآخرين.

إن الزواج يا صديقي ليس عبارة عن صفقة تجارية مربحة، أو مجرد عقد بين شاب وفتاة، إنه رباط وثيق بين شخصين تعاهدا على الزواج، والعمل سوياً بيد واحدة لبناء عائلة واحدة. إنه وحدة كاملة بين الشاب والفتاة ولهذا قال الله منذ أن خلق آدم وحواء: "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً". (سفر التكوين ٢: ٢٤) إن الزواج إذن هو إتحاد كامل بين الرجل والمرأة، إتحاد جسدي وعاطفي ونفسي وروحي. ولهذا اعتبر الكتاب المقدس الزواج طاهراً ومقدساً. لأن الله أمر به وباركه منذ البداية.

مستمعي الكريم، لقد عاد المخلص المسيح وأكد أهمية الإتحاد الكامل بين الرجل والمرأة في الزواج. وعندما سأله الفريسيون، وهم فرقة يهودية متزمتة، هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ أجابهم قائلاً: "أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى." ثم أضاف قائلاً: "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسداً واحداً. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان... وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة يزني". (بشارة متى ١٩: ٤-٦، ٩)

إن الحديث عن الزواج ومفهومه بالمسيحية، لا بدّ أن يقودنا إلى مفهوم الطلاق في المسيحية. فيما أن الله ينظر إلى الزواج كاتحاد كامل بين الرجل والمرأة، لهذا يصبح الطلاق أمراً غير مقبول لدى الله. إلا في حالة واحدة وهي أن يخل أحد الطرفين بهذا

الاتحاد أي في حالة الزنى. فعندما يزني الرجل أو تزني المرأة، أي يقيمان علاقة خارج الزواج، يصبح بإمكان الشريك الآخر طلب الانفصال والطلاق. إن العائلة هي الخلية الأولى في المجتمع، فإن تَهَدَّمت تفكك المجتمع. وكلنا نعلم النتائج السلبية للطلاق إن كان على الزوجين أم على الأولاد.

لهذا إن المسيحية تشدد على الإتحاد الكامل بين الرجل والمرأة بالزواج، وتحد من الطلاق إلا في حالة الزنى. أما ما نراه ونسمع به من حوادث الطلاق في المجتمعات المسماة مسيحية، فهو مخالف لتعليم الكتاب المقدس ومبادئ المسيحية. صديقي المستمع، لهذه الأسباب جميعها اعتبر حكيم سفر الأمثال: "أن من يجد زوجة يجد خيراً وينال رضى من الرب". إن خطوة الزواج ليست بالخطوة الهينة البسيطة، ولهذا على الشاب أن يحترس ويدرس الأمر، ويتحقق من مشيئة الرب، قبل الإقدام على هذه الخطوة الهامة.

لكن من المهم أيضاً قبل الإقدام على مثل هذه الخطوة أن يقيم كل من الشاب والفتاة علاقة روحية وطيدة مع الله الخالق. فعندما تكون علاقتهما متينة مع الله، يستطيعان أن يدركا من هو الشخص الأنسب والأفضل بالنسبة لهما. أما هذه العلاقة الصحيحة مع الله فلا بدّ أن تكون من خلال المخلص المسيح، الذي هو الوسيط الوحيد بين الله والإنسان. وهو الذي مات على الصليب ليكفّر عن ذنوبنا. فهل تؤمن مستمعي، وهل تؤمنين مستمعتي بالمخلص المسيح؟